الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 17) – 1994 – 1414

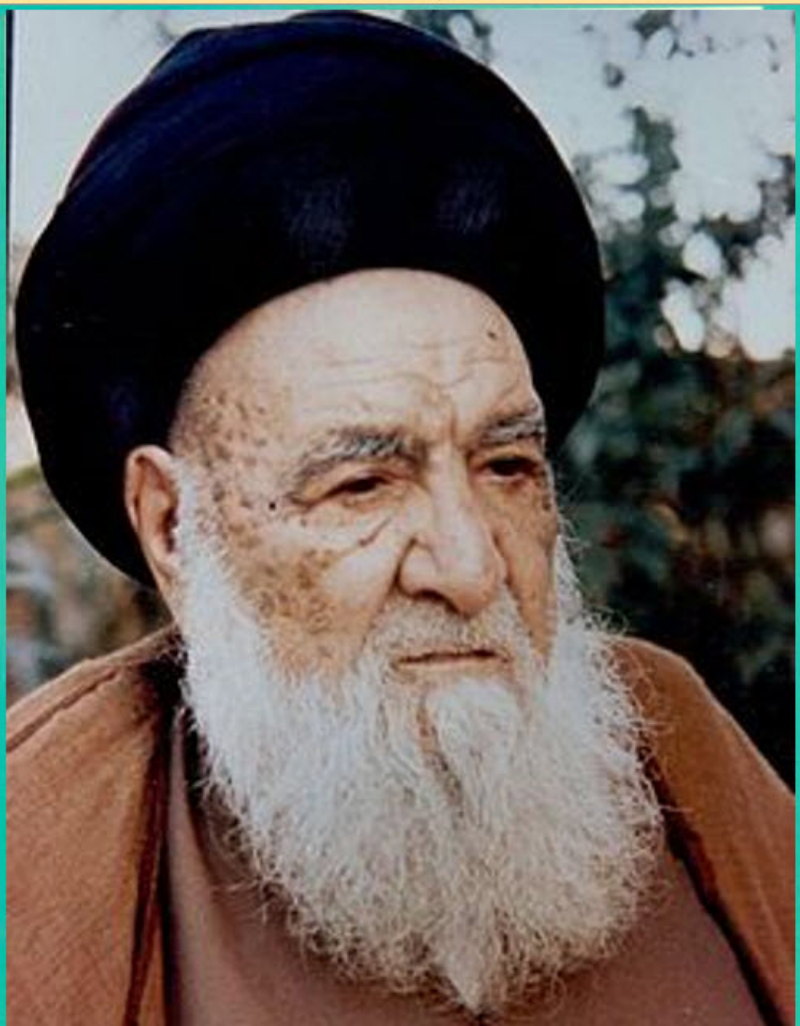

آرشيو مخطوطات
خزانة رخامي دار الحديث
٢١٢٣٠

الإصلاح

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

١٧

ترسل جميع المراسلات والطلبات باسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

«مؤسسة مسجلة في المملكة الهولندية»

KUFA ACADEMY
POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
[HOLLAND] - TEL, FAX: 01860 - 20712

الاشتراك السنوي ١٠٠ دولار امريكي

معالم الشخصية العلمية عند الإمام الخوئي

□ أهل الاختصاص في الدراسات الإسلامية هم الذين يمكنهم الكتابة عن معالم وأبعاد الشخصية العلمية عن الإمام الخوئي صاحب الدراسات المختلفة والكثيرة في مجالات الفكر والفقه الإسلامي ذلك لأن إدراك وتقييم الشخصية العلمية لأي مفكر إنما تتأتى لمن يملك القدرة والقابلية والإحاطة بنتاجات وأفكار تلك الشخصية ، والإمام الخوئي هو أستاذ اغلب المجتهدين المعاصرين من الجيل الجديد وحتى يتمكن هؤلاء من دراسة أفكار ونظريات أستاذهم يحتاجون إلى وقت بعيد للتقييم والدراسة ولكن هذا لا يعطينا العذر في أن لا نكتب عن الإمام الراحل بمقدار يستطيع أن يشير إلى أبعاد ومعالم شخصيته العلمية الرائدة وسوف أتناول هذه الأبعاد بشكل إجمالي .

المنهج

لم يكن الإمام الراحل طالب علم فقط بل كان عالماً مبدعاً في دراساته وصاحب منهج ومدرسة ورأي في علم الأصول وله رؤى ونظريات أساسية في علم الحديث والرجال ، ووفق أكثر من كل المجتهدين الذين سبقوه وعاصروه لبحث أدلة الأحكام واستنباط الأحكام الشرعية لكل ابواب الفقه الإسلامي تقريباً .

إضافة إلى تخصصه في الفقه والأصول والرجال درس الفلسفة وعلم الكلام وله آراء خاصة فيهما .. كما أن كتابه الرائد البيان في تفسير القرآن يكشف عن خلفيته الثقافية القرآنية فكتابه هذا يعتبر مصدراً أساسيا لكل الدراسات في علم القرآن الصادرة عن اتباع مدرسة أهل البيت .

كما أن منهجه في التفسير أقرب إلى وظيفة القرآن الكريم التربوية والهادفة .

منهجه في التفسير

قال رحمه الله في كتابه البيان ص ٣٩٧ :

التفسير هو إيضاح مراد الله تعالى من كتابه العزيز فلا يجوز الاعتماد فيه على الظنون والاستحسان ولا على شيء لم يثبت أنه حجة من طريق العقل أو من طريق الشرع للنهي عن اتباع الظن وحرمة إسناد شيء إلى الله بغير إذنه ... ومن هنا أنه لا يجوز اتباع أحد المفسرين في تفسيره سواء أكان ممن حسن مذهبه أم لم يكن لأنه من اتباع الظن وهو لا يغني من الحق شيئاً ثم يحدد مدارك وأدلة المفسر بما يلي :

١ ـ الظواهر التي يفهمها العربي الصحيح .

٢ ـ أحكام العقل الفطري الصحيح .

٣ ـ اتباع نصوص المعصومين المفسرة للكتاب المجيد .

إذن نحن أمام مفسر يملك منهجاً في التفسير فإذا ضممنا إلى ذلك أن الإمام عرف بقدرته

على (تجسيم المعقولات) استطعنا أن ندرك الخسارة في أن لا يصدر من تفسيره إلا الجزء الأول ولو كان الإمام قد أكمل تفسيره لحقق بذلك خدمة كبيرة لكتاب الله المجيد .

منهجه في علم الأصول

كيف لا يكون للإمام الراحل منهج متماسك في علم الأصول وقد درس كل مسائل الأصول بشكل استدلالي ست مرات وهو ما يصطلح عليه بالدورة الأصولية ... وقبل أن يستقل في التدريس كان يقرر ويعيد درس الأصول والفقه لاستاذيه الأصفهاني والنائيني مما جعله أستاذاً متمرساً مهيئاً للرؤية المستقلة والنظر الخاص في المسائل الأصولية والفقهية .

ويعتبر الإمام الخوئي مشيداً لما بناه وأسسه استاذه النائيني في جملة من المسائل الأصولية الهامة مثل مسألة التعهد في الوضع اللغوي ومسألة الترتيب ومسألة الطريقية التي تعتبر من أقوى النظريات الأصولية التي لم تسلم من تساؤلات حولها من قبل المحققين .. كما أن له رؤى مستقلة عن مدرسة أستاذه النائيني الأصولية .

ويمتاز منهجه الأصولي بالتقيد بدائرة المسألة المدروسة وعدم الخروج عنها والاستطراد في بحث أمور جانبية لا تمت إليها بصلة ومن يقرأ ما كتبه من تقريرات لأستاذه النائيني وما كتبه طلابه تقريراً لدرسه يقطع بذلك .

كما أن بيانه الأصولي واضح ومشرق رغم أن اللغة المعهودة لهذا العلم لغة معقدة ...

ونفس الأمر يجري في بحثه الفقهي وفي استنباطه للأحكام الشرعية فهو لا يخرج عن دائرة البحث في نفس المسألة ليستغرق في تفاصيل تخرج الباحث عن هدفه الأساسي ، وعرف عن الإمام الخوئي أنه صاحب فهم لظهورات الكلام العربي لا يرقى إليه إلا القليل وبما أن أغلب أدلة الأحكام هي هذه الظهورات فهو أقرب من غيره إلى المنهج السديد للاستنباط وإذا ما لاحظنا أن المضمون والدلالة لا تكفي لوحدها للوصول إلى الحكم الشرعي وإنما نحتاج بعد ذلك إلى دراسة السند نعرف أن الفقيه لا بد له من رأي في مسائل التوثيق السندي ولا نعرف أن أحداً من الفقهاء انتج ما انتجه الإمام الراحل في هذا المجال فهو صاحب كتاب معجم رجال الحديث الذي هو جوهرة كتب الرجال ولا يمكن لأي فقيه أن يستغني عنه .

منهجه في علم الرجال

مما امتاز به بحث الإمام الراحل في الرجال أنه يذكر جميع رواة الرجل الذي يدرس توثيقه الذين رووا عنه والذين يروي عنهم في الكتب الأربعة وقد يذكر ما في هذه الكتب لا سيما رجال الكشي فقد اكثر ما فيه من الرواة والمروى عنهم بالرجوع إلى الملاحق الذي يذكر فيه تفصيل طبقات الرواة يعرف تسلسل طبقات الرواة عصراً ومشايخ وتلاميذ وبهذا يعرف السند كمالاً ونقصاناً وربما نعثر على الحلقة المفقودة في أثنائه . مع حفظ المشايخ والتلاميذ .

وبناء على هذا المنهج سوف نميز بشكل كامل بين المشتركات فإن كثيراً من الرواة يشترك اسمه واسم أبيه ولكن تفصيل طبقات الرواة يعين على التحديد ولضيق المجال سوف أترك الحديث عن منهجيته لأتحدث عن معلم آخر من معالم شخصيته العلمية .

الجهد الدؤوب والصبر على البحث

والدراسة سمة بارزة من سمات شخصية الإمام الراحل والملاحظ في الدراسات الإسلامية أنها متنوعة متعددة لا بد من إدراك مناهجها للخوض فيها ودراسة منهج علم واحد تحتاج إلى جهد جهيد فكيف بدراسة مناهج علوم عديدة ويكفينا دليلاً على تمكن هذه السمة من شخصية الإمام أن تلاحظ وفرة الإنتاج العلمي وكثرة من تخرج على يديه من المحققين والمجتهدين الذين تصدى البعض منهم للمرجعية كالإمام الشهيد الصدر مؤسس أقوى حركة إسلامية استطاعت مواجهة المد الغريب على الإسلام كما أن من طلابه من يمارس اليوم وظيفته العلمية والرسالية وتدريسات وبحثاً وقيادة في مختلف بلدان العالم الإسلامي مما يكشف عن مدى الجهد الذي بذله الأستاذ في اختيار المنهج الذي يخرج مثل هذه الكفاءات ومن معالم شخصيته العلمية .

وللسيد الخوئي ذاكرة قوية مكنته من حفظ أسانيد كثيرة في علم الحديث ونصوص قرآنية وحديثية كثيرة ، وقلَّ من جمع بين قوة الاستظهار والتفكير الفعال المتواصل وآخر ما أشير إليه كمعلم من معالم شخصية الإمام الراحل العلمية الإبداع في طرح الموضوعات وعرضها وقد اشتهر عنه قدرته على التوضيح والبيان المشرق حتى في الأمور المعقولة غير المحسوسة .

ويكفي لمعرفة ذلك أن يراجع المطالع كتاب البيان ليرى العبارة الأدبية والأسلوب الشيق الجميل ثم يقرأ تقريرات تلامذته التي التزمت غالباً عبارات الأستاذ في علم الأصول والفقه وامتازت بحوثه العلمية وتدريساته بالإنفتاح على مختلف الآراء والمشكلات ذلك لأن طبيعة دراسة الحلقات العلمية المتعارضة في الحوزة وهدفها هو الذي يفرض ذلك لأن هدف هذه الحلقات الوصول إلى الحقيقة لا الدفاع عن الرأي الشخصي وقد قال أحد كتاب أوربا (أن النزاع الحاد يكشف عن أن المحاورين لا يدافعون عن الحقيقة بل عن عصمتهم وصحة آرائهم) بينما الجامعات العلمية الإسلامية تريد الوصول إلى الحق والصواب .

وأخيراً أشير إلى أن الذكاء الذي اشتهر كصفة بارزة في السيد الخوئي وسعة مجالات الانتباه عنده ودقته على البحث والدراسة العميقة المتواصلة وتشعب اهتماماته العلمية والفكرية كل هذه السمات انتجت لنا ما يزيد على خمسين مجلداً من الكتب في مختلف المجالات . ■ ■

السيد حسن النوري .

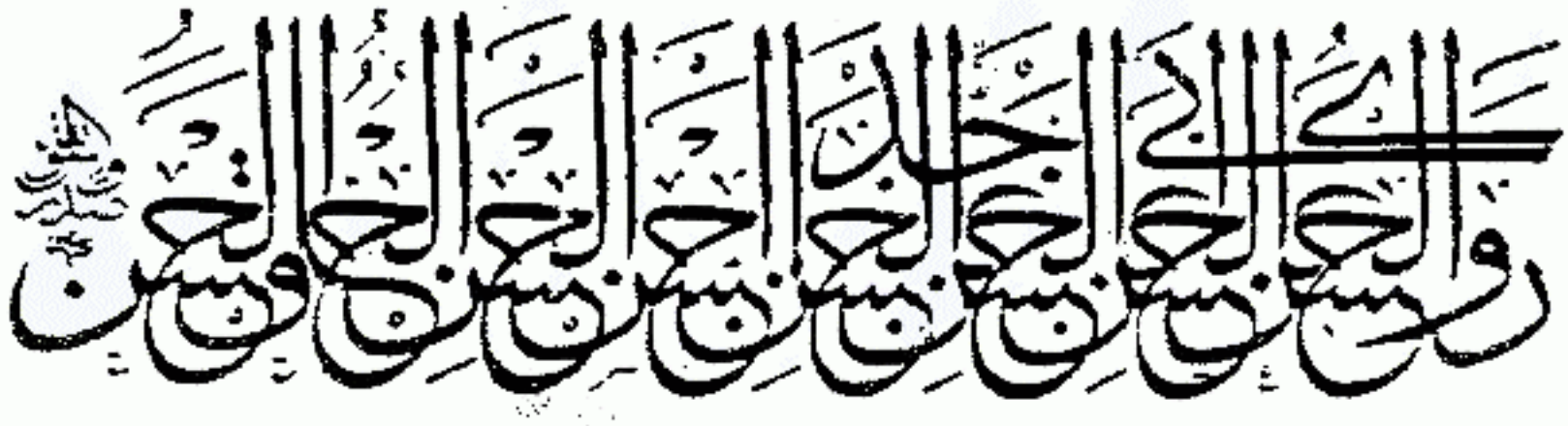

الامام الخوئي يستقبل ـ بمنزله بالكوفة ـ مبعوث الأمم المتحدة الأمير صدر الدين آغا خان.